1- الهارب

"الوهم كنزٌ عن الورى يرهقه القديسون"

سامح الدالي.

"مقهى وسط القاهرة"

"1880 ميلاديا"

الجو هادئ، الإضاءة خافتة؛ رائقة لقديس باحث عن إجهاض دين لمصلحته.. رمق الجريدة المستقرة يمناه قبل أن يبتسم ويعود بناظريه لرقعة الشطرنج مردفا "مرة أخرى!؛ ألا يشعرون برمقٍ من الذنب؟!".

تنهد "فضيل" ضاما يديه إلى ذقنه المنقرة:

- مرة أخرى إذا.

- ولكن لم أكن أتوقع من تلك الجريدة بالذات.. لقد عملت بها فترة كذلك!

تلى ذلك تحريكه القطعة الثالثة معلنًا عن افتتاحية "نابليون" الشهيرة.

"أرَ أن نابليون نُهِب باسم الفائدة وما يحتاجه العالم، هل هزل كذلك من نفسه!.. بت أفكر؛ لِمَ لَم يحتفظ بها لنفسه.. طالما كان بذلك الدهاء ليخرج بخطة كتلك أليس من المفترض أن يعلم أن هنالك محتالين يقتنصون الأقل منهم خبرة للكِبر بها والظفر بأفكار غيرهم؟!، ولكن ما حقهم فهم ناهبون وهو المنهوب الراضِي باسم الفائدة".

قالها "فضيل" راسمًا ابتسامة على وجهه ثم استطرد:

- ذلك الموت الباحث عن الفِكر ليحيا يقتلني يا مراد؛ هل توافق حقًا على تلك المقالات المنهوبة!

- اعتدتُ الأمر؛ الأهم من السرقة أن العالم يظفر ببعض المعرفة.

غمغم "فضيل":

- على حساب معلوماتك.

بادله "مراد" ابتسامة سخرية:

- ما دام السارق هادئ البال فلا بأس!

- يؤرقني فِكرك يا صديقي، لست بذلك الواهب الباحث عن الظهور.. لقد دُهست يا مراد؟

أخذ "فضيل" نفسًا عميقًا أردفه بسعال حاد إثر رائحة التبغ المنتشرة بالمكان، ثم أكمل:

- قال أحدهم "هنالك شعرة رقيقة جدًا تفصل بين العبقرية والجنون" أعتقد أنك مزقت تلك الشعرة منذ زمن بالفعل.

- إن كان الجنون ينطق بالمعرفة حتى وإن كان عن الورى؛ فأنا الشاكِي إلى ذاتي بالجنون عن المعرفة.

تخلل أتباعه بعض الصمت، واهٍ به مكملا:

- لكن هل أزيدك من القصيد بيتا؟

- ماذا؟

- ما يجعلني أبتسم كل سرقة تؤتيني؛ ليس سخريتي من السارق إنما فخري بمَا تبقَى لي من ذاتي مساويًا إياك؛ تذكري كل سرقة أن تلك كتبتها ثم أنسَى بعد ذلك ما خطت يداي.

تنهد متبعا:

- نسيت كل شيء تقريبا.. لا أذكر حتى الساعة ما كنت أفعل أمس أو أين؟.. بتُ أعتقد أني مصاب بداء النسيان.. هل أنا كذلك؟

انسدلت دمعة قد ترقرقت بعيني "فضيل"، بينما نظر "مراد" بعينيه لرِقعة الشطرنج بيأس متجهما:

- حتى أصدقائي.. بالمنسابة أين أصدقائي مني اليوم يا فضيل، إني حتى لا أذكرهم.

***

بادلت نظراته نظرات اللوحة المعلقة "مستشفى العباسية للصحة النفسية.. تأسست عام (١٨٨٣ ميلاديا).

تولى ذلك الملف أمامه مهمة الجلوس على مكتبه موفيًا القهوة مكانها بجانبه.

نظر إلى الملف بعدما أرخى الربطة الجائلة حولها..

"مراد صدقي عبد الواحد" "الصحفي"

***

عادت نظرته تؤرقه نحو فضيل الذي هبت مكانه أدخنة التبغ مستوليةً على مكانه.

رمق رقعة الشطرنج "لم تتحرك!".

- يا إلهي؛ كل ذلك لأني لم أوافيك احتجاجك على صمتي يا فضيل؟ عُد يا فضيل.. ذلك الثبات الذي سعيت لإثباته يتهدد بمغادرتك، إنه يحفز جنوني.

ضرب بقبضته على الطاولة أمامه صارخًا "فضيل!".

***

"خط مزعج".. أضطر دكتور "كريم" المجاهرة به لقراءته!

مُشخص "العُصاب"، الفُصام حاد"، "ألزهايمر".

خاتمًا بالكلمة المكتوبة أسفل معلومات الحالة "الهارب".

***

نظرت إليه الجموع حوله في رهبة، أرفق رأسه على الطاولة مزحزحًا رِقعة الشطرنج من مكانها.. ابتسم ابتسامة نكراء مردفاً:

- ليتني أتوهم يومًا حبيبة تحتضن رجفتي.

***